الصراع الدولي في الشرق الأدنى بين القرنين الخامس عشر والثالث قبل الميلاد

وليد محمد صالح فرحان
مركز البحوث الاثارية والحضارية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مقدمة :

شهد الشرق الادنى في النصف الاول من الالف الثاني قل الميلاد تغيرات كبيرة في تركيبه السكاني بسب مجيء جماعات عرقية جديدة وفدت اليه من الخارج وقدر لها ان تلعب دوراً مهماً في تاريخه السياسي والحضاري فيما بعد من خلال علاقاتها المتشابكة بعضها مع البعض الاخر من جهة ومع السكان المحليين للمنطقة من جهة ثانية.

والبحث محاولة متواضعة لالقاء الضوء على مجمل سياسات دول المنطقة خلال الفترة التي اتضحت علاقاتها مع بعضها بشكل جيد ومدعم بالادلة التاريخية. فقد شهدت الفترة تشابكاً واضحاً في احداثها التاريخية بسبب تعدد الدول الحاكمة وتنافسها للسيطرة على اكبر مساحة ممكنة ولاسيما بالنسبة للمناطق ذات الاهمية الاستراتيجية. وقد أدى تشابك الاحداث هذا ، إلى جانب كثرة المصادر التاريخية وتضاربها في تزويدنا بالمعلومات ، إلى غموض الوضع السياسي إلى درجة جعل هذه الفترة من أعقد الفترات التاريخية واكثرها غموضاً . ومن هنا تأتي أهمية البحث كمحاولة لرسم صورة عامة لتأريخ المنطقة وبيان سياسات الدول المسيطرة وعلاقاتها الدبلوماسية بعضها مع البعض الاخر ، دون الدخول في تفاصيل المعارك الحربية التي يمكن الرجوع اليها في العديد من المصادر.

لقد تركز النزاع الدولي في الدرجة الاولى للسيطرة على منطقة شمالي سوريا وما بين النهرين (منطقة الجزيرة) لكون المنطقة مركز احتكاك مباشر بين المصالح المتضاربة لمختلف الدول الحاكمة . فقد حاولت كل دولة السيطرة غير المباشرة على اكبر جزء من هذه المنطقة نظراً لاهميتها الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية . والحقيقة ان الصراع للسيطرة على هذه المنطقة المهمة لم يقتصر على هذه الفترة فقط ، بل حدث ايضاً في فترات تاريخية تالية ، خاصة بين الاخامينيين واليونان(خلال الربع الثالث من الالف الاول قبل الميلاد) ، ثم بين الفرثيين والرومان (القرن الاول قبل الميلاد والقرنين الاولين بعده) وكذلك بين الساسانيين والبيزنطيين قبل الاسلام.

ومع ان النزاع المسلح والصدام المباشر لعبا دوراً هاماً في تصفية المصالح المتضاربة واقرار مناطق النفوذ، الا أن الوسائل الدبلوماسية لعبت هي الاخرى دوراً ليس بالقليل في هذا المجال ، خاصة عندما تنعدم الفائدة من الحرب بسبب ظروف خاصة يتعرض لها هذا الطرف او ذاك او كليهما او بسبب تكافؤ القوى.

وقد اثر الصراع بين دول الشرق الادنى وتضارب مصالحها في بلاد الشام ولاسيما في شماليها، على تاريخ هذا الجزء من الشرق إلى حد كبير من النواحي السياسية والحضارية، اذ أدى إلى عدم قيام دولة موحدة فيها وبقاء وضعها السياسي نتيجة ذلك مجزءاً بين عدة دويلات محلية خاضعة، في كثير من الاحيان ، للدول الاقوى المجاورة ومتنافسة فيما بينها تبعاً لقوتها من ناحية ،وارتباطاتها الخارجية بتلك الدول من ناحية ثانية. كما ان المنطقة اصبحت نقطة احتكاك مباشر بين حضارات متعددة بحيث اكسبها ذلك اهمية خاصة في عملية التمازج الحضاري وجعل منها بوتقة انصهرت فيها مختلف العناصر الحضارية وكذلك مركز اشعاع حضاري فعال، اسهم إلى حد كبير في اغناء الحضارة البشرية سواء في هذه الفترة او الفترات اللاحقة .

وسنرى من خلال البحث ان مصر لعبت دوراً لاباس به في وقف امتداد النفوذ الميتاني، والنفوذ الحثي من بعده، إلى المناطق الداخلية من بلاد الشام سواء كان ذلك عن طريق الحرب او الدبلوماسية، الاأن الاشوريين لعبوا دوراً مهماً في هذا المجال، ولاشك ان دورهم كان اعظم عندما قضى ملكهم «شلمنصر» الاول على الدولة الميتانية نهائياً وتصدى هو وخليفته« توكلتي نتورتا» الاول لمحاولات التوسع الحثية في المنطقة .

وقبل البدء لابد من التعريف باختصار بالدول التي كان لها دورهام على المسرح التاريخي لمنطقة الشرق الادنى لكي تكون الصورة واضحة. فهناك الدولة

الحثية (١) التي كان مركزها في شرقي أسية الصغرى (الاناضول) . وقد قدم الحثيون (Hittites) إلى هذه المنطقة في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد وسيطروا على اوضاعها السياسية ، ثم أخذوا في فترة لاحقة في توسيع نفوذهم في كافة الاتجاهات حتى ان ملكهم « مورشيليش » الاول تمكن من غزو بلاد بابل عام ١٥٩٥/٦ ق.م. وقضى على حكم سلالتها الاولى (٢) . وقد حدثت مصادمات عديدة بين الحثيين من جهة ودول الشرق المجاورة للسيطرة على منطقة شمالي سوريا ومابين النهرين. وفي منطقة الخابور تمركزت الدولة الميتانية (٣) (Mitanni) التي قامت قبيل بداية القرن السادس عشر قبل الميلاد حيث اصطدمت مصالحها منذ قيامها بالمحاولات الحثية للسيطرة على شمالي سوريا وكذلك بالمحاولات

---

(١) : الحثيون اقوام هندية – اوربية وفدت من منطقة شواطيء بحر قزوين واستقرت في منعطف نهر «الهاليس» (Halys قزل إرماق)في القسم الشرقي من اسية الصغرى حيث اتخذوا من مدينة « حاتوشا/ حاتوشاش» (بو غازكوي حالياً) عاصمته لدولتهم التي استمرت حياتها السياسية حتى اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد . انظر عن الحثيين :

Gurney, O.R. The Hittites· Penguin Book. 1972.

(٢) : مما يذكر ان «مورشيليش» انسحب فجأة من بابل عائداً إلى بلاده فهيأ الفرصة امام الكشيين للسيطرة على بلاد بابل حيث اقاموا « السلالة الكشية» (١٥٩٥ – ١١٥٩ ق. م.).

(٣) : عرفت الدولة التي اقامها«الحوريون»،وهم أقوام لا يعرف انتماؤهم العرقي بشكل مؤكد، بثلاثة أسماء مترادفة متذ قيامها: الدولة الميتانية، الدولة الحورية/الخورية ·Hurri ، و«خانيكلبات» بينما سماها المصريون والكنعانيون باسم «نهارينا/نهاريما»

Astour,M.C, "Hattusilis Halab and Hanigalbat·" JNES· VoL·xxxI.No. 2·pp·103ff·

وشملت الدولة المتانية المنطقة الممتدة من بحيرة وان إلى اواسط الفرات ومن زاجروس إلى الساحل السوري . ويرى الكثيرون ان تسمية « خانيكلبات » ظهرت في فترة متأخرة نسبياً من حياة الدولة الميتانية لتشير إلى مركز هذه الدولة في منطقة الخابور وذلك بعد انفصال بعض الاجزاء المجاورة لبحيرة وان (في القرن الرابع عشر ق .م.) في حين تشير احدث الاراء إلى قدم هذه التسمية وترادفها مع التسميتين الاخرتين كما ذكرنا .

المصرية لاقامة الامبراطورية الاسيوية .اما مصر فقد ركزت جهودها العسكرية في هذه الفترة على حماية حدودها الشمالية الشرقية بعد طرد الهكسوس وذلك في بداية الامر ثم تطورت هذه السياسة الى محاولة أقامة منطقة نفوذ مصرية في بلاد الشام وبذلك دخلت مصر كقوة دولية مهمة في الصراع الدولي في المنطقة . وفي العراق كان الاشوريون في الاجزاء الشمالية من اشد المناوئين للدولة الميتانية ثم للدولة الحثية فيما بعد في النزاع على مناطق النفوذ المهمة ، في حين كانت الاجزاء الجنوبية (بلاد بابل) خاضعة لحكم الكشيين الذين كان دورهم ثانوياً الى حدما في الصراع حيث انحصر في معظمه تقريباً في النزاع الحدودي مع الدولة الاشورية . اما بلاد الشام فقد اقتسم الحكم فيها العديد من الدويلات الامورية الصغيرة التي اختلف موقفها في علاقاتها مع دول المنطقة بين التحالف مع احداها ضد الاخرى ، وهو تحالف اقرب الى الخضوع او هو خضوع كامل ، او الحياد المؤقت وانتهاز الفرص لتقوية مركزها الذاتي وتحقيق الاستقلال الكامل . وكانت هذه الدويلات في كثير من الاحيان تقوم بالدور نيابة عن الدولة المساندة لها ، اضافة الى ان اراضيها كانت مسرحاً للنزاع بين الدول الكبيرة القوية .

(١)

بعد ان تمكن المصريون من اجلاء الهكسوس (٤) عن مصر وطاردوهم الى المنطقة الجنوبية من فلسطين ، حوالي منتصف القرن السادس عشر قبل

---

(٤) حكم الهكسوس مصر فترة قرن ونصف او قرنين من الزمن أنتهت باجلائهم عنها من قبل الملك «احمس» (١٥٧٠ق.م.) .وهناك من يعتبر الهكسوس من الشعوب الهندية – الاوربية (محمد الغرب موسى، هزيمة الهكسوس. (القاهرة ١٩٦٧) ص ٣٣ – ٤٢ وكثير من المصادر الاخرى عن تاريخ مصر القديم) في حين تعتبرهم احدث الاراء من «القبائل العربية القديمة» (القبائل السامية) (د. عامر سليمان واحمد مالك الفتيات ، محاضرات في التاريخ القديم. (الموصل ١٩٧٨) ص ٢٧١–٢٧٧). ومهمايكن اصل الهكسوس فان حكمهم لمصر اثر إلى حد كبير على سياستها الخارجية بعد اجلائهم عنها .

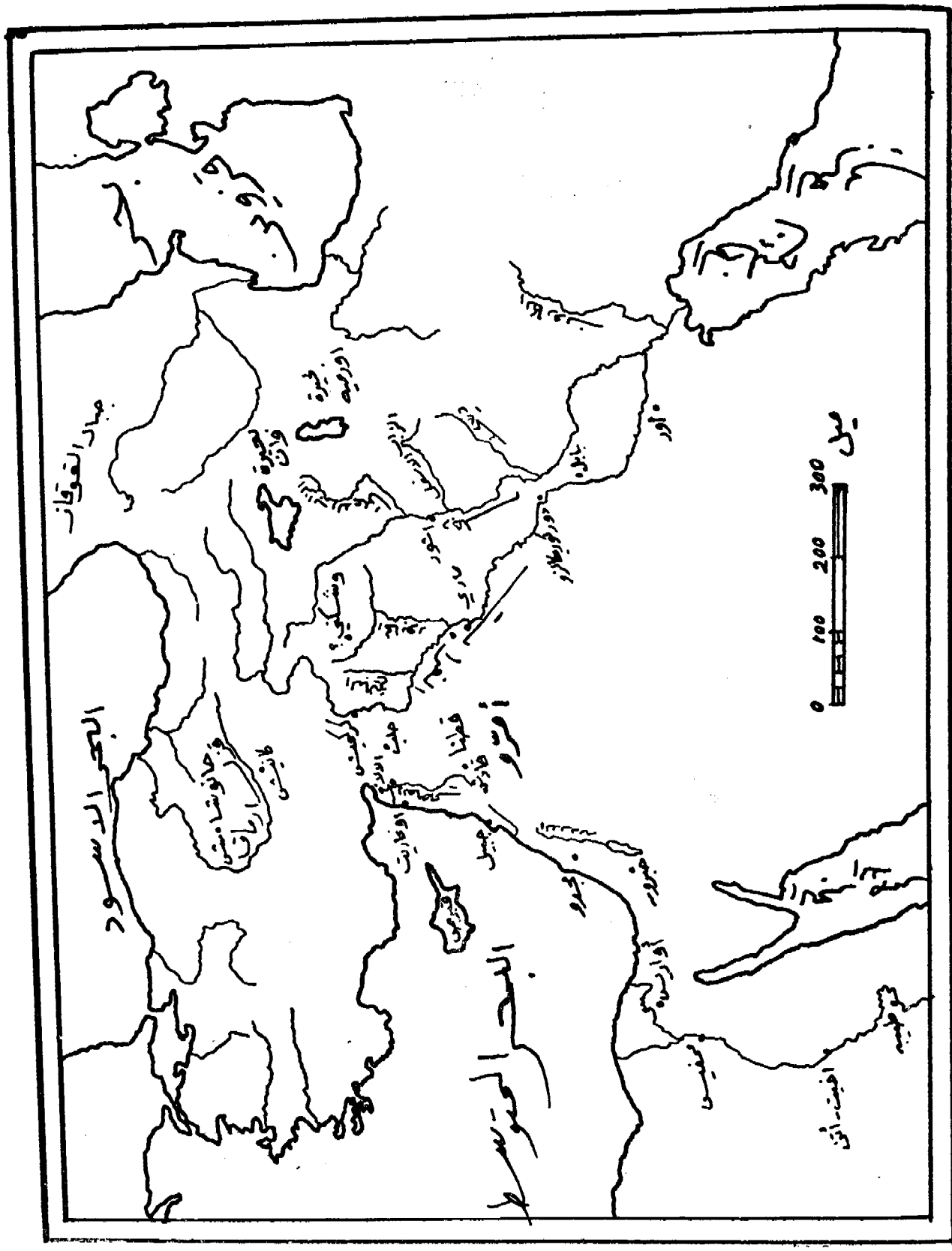

الشرق الادنىء في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد

عن: Roux, G. Ancient Iraq. Pelican Book. 1964:

الميلاد ، قامت الاسرة الثامنة عشر (١٥٧٠ – ١٣٢٠ ق.م.) (٥) حيث بدأت اتجاهات جديدة في السياسة الخارجية المصرية تهدف الى حماية الحدود الشمالية الشرقية – حيث سبق ان دخل الهكسوس من هذه المنطقة الى الدلتا – ليس فقط بابعاد الخطر عنها بتقويتها دفاعياً وانما بمحاولة السيطرة على المناطق الابعد التي تؤدي اليها ، خوفاً من تكرر الهجوم على البلاد سواء من قبل الهكسوس انفسهم أو من قبل جماعات اخرى غيرهم ؛ وكذلك لضمان طرق التجارة مع بلاد الشام ولاسيما مع فلسطين ولبنان بشكل أثبت . وهكذا بدأت المحاولات المصرية لاقامة مناطق النفوذ الدائم في بلاد الشام بالسيطرة المباشرة او غير المباشرة .

ان انطلاق المصريين من حدودهم الخاصة الى بلاد الشام ومحاولتهم اقامة امبراطورية آسيوية اوجد قوة جديدة في منطقة الشرق الادنى تتنازع السيطرة والنفوذ مع القوى الموجودة آنذاك (الدولة الميتانية اولا ومن بعدها الدولة الحثية) حيث اصبحت على احتكاك مباشر معها . وقد اثر ظهور القوة المصرية على مجمل السياسات الخارجية لدول المنطقة في علاقاتها الثنائية مع بعضها البعض الاخر من ناحية ومع مصر من ناحية ثانية . ودخلت دول الشرق الادنى في علاقات متشابكة اختلف طابعها بين النزاع المسلح والسلام المؤقت او الدائم عندما تتكافأ القوى.

وظهرت بوادر الاتجاه الجديد في السياسة الخارجية المصرية تجاه بلاد الشام منذ فترة مبكرة من عهد الاسرة الثامنة عشر . فقد وجه « أمنحوتب » الاول (١٥٤٦ – ١٥٢٦ ق.م.) حملة حربية الى شمالي سوريا حيث اصطدم بمصالح الدولة الميتانية (٦) (نهارين) . كما وصل « تحوتمس »

---

(٥) اعتمدنا في تحديد فترات حكم فراعنة الاسرة الثامنة عشر على النظام المتبع في :

CAH. 3rd. ed. Vol. 11· pt. 1 (1973) p.819.

(٦) Gardiner, A·, Egypt of the Pharaohs. (Oxford 1961) . p·197.

الاول (١٥٢٥ – ١٥١٢ ق.م.) الى الفرات واحرز النصر على الميتانيين .(٧)

لقد حققت هذه الحملات لمصر نوعاً من النفوذ في بلاد الشام ، وهي تشير الى عدم وجود قوة في المنطقة تتصدى لها وتوقفها. والواقع ان الوضع الدولي في الشرق الادنى كان عاملا مساعداً سهل عملية التقدم المصري الى شمال بلاد الشام اضافة الى قوة مصر ذاتها : فالميتانيون لم يكونوا قادرين ، فيما يبدو ، على وقف الزحف المصري او لعلهم حاولوا ذلك دون جدوى . اما الحثيون فقد كانوا منكفئين داخل حدودهم الخاصة وظلوا يعانون من النزاعات الداخلية على العرش التي اعقبت اغتيال « مورشيليش » الاول (بداية القرن السادس عشر ق.م.)،ولم يسلموا في كثير من الاحيان من التهديدات الميتانية وفقدان النفوذ على قسم من اراضيهم وممتلكاتهم لصالح الاخيرة . وفي الطرف الشرقي من الشرق الادني نجد بلاد آشور في فترة مظلمة من تاريخها ، في حين كان الكشيون في بلاد بابل منشغلين في تثبيت مركزهم الداخلي اضافة الى بعدهم النسبي عن مسرح الاحداث .

اعقب النشاط العسكري المصري فترة من التوقف شغل عهدي «تحوتمس » الثاني و « حتشبسوت » (١٥١٢ – ١٤٨٢ ق.م.) وذلك بسبب الانشغال في المشاكل الداخلية والتركيز على حماية المصالح المصرية في افريقيا (٨) ، وربما ايضاً بسبب قوة الدولة الميتانية . وقد ادى هذا التوقف الى ضعف النفوذ المصري في بلاد الشام وفسح المجال امام الدويلات المحلية للتحرك لعله بتشجيع ودعم من الدولة الميتانية التي ارادت استخدام هذه الدويلات بمثابة « رأس حربة » في نزاعها مع مصر ولتجعل منها دويلات حاجزه وخط دفاع امامي ضد مصر .

---

(٧) :يويوت ،جان، مصر الفرعونية . ترجمة : سعد زهران (القاهرة ١٩٦٦) ص ١١١.

(٨) عبدالعزيز صالح ، الشرق الادنى القديم . الجزء الاول(القاهرة١٩٦٧) ص ٢٠٨ .

ونتيجة لذلك اندلعت في بداية حكم« تحوتمس» الثالث (١٤٨٢ — ١٤٥٠ ق. م) ثورة واسعة ضد النفوذ المصري بزعامة أمير مدينة «قادش» (تل نبي مند حالياً) على العاصي. واستطاع هذا الحاكم توسيع حدود دولته إلى منطقة الجليل ووصل مدينة« مجدو» (تل المتسلم حالياً) التي جعل منها مركزاً لتجمع الجيوش المتحالفة . (٩) وهكذا تعرضت مصر لخطر حقيقي نظراً لكون مجدو نقطة استراتيجية مهمة على الطريق التجاري والعسكري إلى بلاد الشام ، وكان لابد من الرد على هذا التحدي الذي سيكون له نتائج سلبية بعيدة المدى فيما لو أهمل. وتعامل تحوتمس مع هذا التحدي بشكل ايجابي (حوالي عام ١٤٨١ق. م.) حيث تمكن من استرجاع فلسطين وتوطيد النفوذ المصري في العديد من مناطق بلاد الشام . (١٠) وحاول بعد نجاحه الحربي اقامة نوع من الروابط الاجتماعية مع الدويلات المحلية بان طلب من امرائها ومن رؤساء القبائل ايضاً ارسال ابنائهم إلى مصر لتربيتهم تربية خاصة لينشأوا موالين لها متفانين في خدمتها عندما يحلوا مستقبلاً محل الحكام القدامى المعادين لمصر .(١١)

ورغم النجاح الذي حققه تحوتمس في حملته الاولى إلى بلاد الشام الا أنه لم يتمكن من اخضاع قادش الا في فترة متأخرة من حكمه (١٢) بسبب حصانتها الطبيعية التي يوفرها لها نهر العاصي . والحقيقة انه كان لقادش اهمية استراتيجية خاصة بسبب تحكمها في المدخل الشمالي لسهل البقاع المؤدي الى وسط سوريا ، ولانها تشرف على نهر الوادي الكبير الذي يؤدي إلى ساحل البحر المتوسط ، وتسيطر بشكل غير مباشر على الطريق التجاري بين سوريا والعراق . وبسبب هذه الاهمية حرص تحوتمس طيلة فترة حكمه على اخضاع قادش لسيطرته المباشرة او جعلها حليفة له على الاقل ، خاصة وانها استمرت بتزعم حركة المعارضة ضد مصر بدفع وتشجيع من الدولة الميتانية بطبيعة الحال .

---

(٩) يويوت ، جان، المصدر السابق . ص ١١١ .

(١٠) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم . ج٢. ط٦ (القاهرة ١٩٦٦) ص ١٠٢ — ١٠٥ .

(١١) :فيليب حتي ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (بيروت ١٩٥٨) ص ١٤٣ .

(١٢) :نجيب ميخائيل ابراهيم . المصدر السابق . ص ١٠٦ .

ان تجدد الثورات في بلاد الشام ضد النفوذ المصري قد ارهق تحوتمس بدون شك ، الامر الذي دفعه إلى توجيه حملة عسكرية كبيرة ضد الدولة الميتانية (حوالي عام ١٤٧٠ق .م.) ليوجه اليها ضربة حاسمة وليحد من تدخلاتها في الاملاك المصرية ويوقف تحريضاتها المتواصلة للدويلات السورية . لكنه لم يحقق في حملته هذه الا نصراً جزئياً على الميتانيين قرب كركميش (١٣) (جرابلس حالياً) لأنه اضطر إلى تجديد حملاته الحربية على بلاد الشام اكثر من مرة فيما بعد (١٤) والتي تمكن نتيجتها من توطيد نفوذه في المنطقة محققاً لمصر مركزاً مهماً في الشرق الادنى من عـدة نواحي : اولا جعل مصر قوة ذات اهمية كبيرة في المنطقة واوقفها على قدم المساواة مع أقوى دولة فيها (الدولة الميتانية)، ثانياً : ضمن التجارة مع بلاد الشام عموماً والساحل الفينيقي خاصة ، ثالثاً: حقق لمصر سمعة دولية الامر الذي دفع عدة دويلات مجاورة لمسرح الاحداث إلى اظهار توددها بارسال الهدايا إلى الفرعون كما فعل الأشوريون (١٥) والحثيون والكشيون املاً منهم في ايجاد حليف قوي ضد الدولة الميتانية يمكنه من مد يد المساعدة لهم ويتعهد بحمايتهم في الحالات الضرورية ، اضافة إلى خوفهم من قوة تحوتمس بطبيعة الحال .

(٢)

ان حملات تحوتمس على الدويلات السورية رغم انها اخضعت هذه الدويلات للنفوذ المصري الا أنها لم تقض نهائياً على طموحها في الاستقلال

---

(١٣) Breasted, J·H·, Ancient Records of Egypt· Vol· 11(Chicago 1927)Nos·476f·

(١٤) : نجيب ميخائيل ابراهيم . المصدر السابق . ص ١١١ فما بعد .

(١٥) يرى «تومبسون» R.C. Thompson ان الملك الاشوري الذي بعث الهدايا إلى تحوتمس هو «بوزر – اشور » الرابع (CAH. Vol. II. 1940 .P. 231) لكن لايعرف ملك اشوري رابع بهذا الاسم وانما هم ثلاثة فقط (انظر : Gelb, I.J., 'Two Assyrian King Lists.' JNES. Vol. XIII. No. 4. PP. 209)

والراجح ان الذي قدم الهدايا للفرعون هو احد خلفاء بوزر اشور الثالث (بوزر آشور الرابع عند تومبسون)، ولعل ذلك كان من بين الاسباب التي دفعت الميتانيين إلى اخضاع بلاد آشور لسيطرتهم (انظر : وليد محمد صالح فرحان ، العلاقات السياسية للدولة الاشورية . رسالة ماجستير غير منشورة . (بغداد ١٩٧٦ ص ٤٢ – ٤٣) .

والتحرر ، اذ تجددت الثورة في بداية حكم خليفة تحوتمس « امنحوتب » الثاني (١٤٥٠ – ١٤٢٥ق.م.) للتعرف على قوة الفرعون الجديد الذي وجه من ناحيته حملتين إلى شمالي سوريا(١٦)مؤكداً للامراء السوريين ان مصر لاتزال قوية في عهده. وقد أدت هاتين الحملتين إلى تهدئة الوضع في المنطقة لبقية حكم امنحوتب.

والحقيقة أنه حدثت خلال حكم امنحوتب تغيرات جديدة في المسرح السياسي للمنطقة كان لها دوراً كبيراً في هدوء الوضع وسيادة السلام في بلاد الشام. فقد ظهر الحثيون مجدداً كقوة مناوئه للميتانيين في شمالي سوريا ، وذلك منذ اواخر حكم تحوتمس الثالث ، وجددوا محاولتهم للاستيلاء على المنطقة (١٧) حتى انهم تمكنوا من غزو مدينة حلب وارسلوا بعض الغنائم منها إلى تحوتمس (١٨)، وربما كانوا يهدفون من ذلك عدم اثارة مصر ويحاولون في نفس الوقت كسبها إلى جانبهم كحليف ضد ميتاني، وهو ماسيؤدي إلى حصر الدولة الميتانية بين «شقي الرحى» فيقوم الحثيون بالضغط عليها من الشمال والشرق فيما يفعل المصريون ذلك من الجنوب. الاأن الساسة الميتانيون ادركوا ، فيما يبدو ، مخاطر التقارب الحثي المصري وحاولوا القضاء عليه في مهده قبل ان تتطور الامور باتجاه مميت لمصالحهم (أي الميتانيين) ومستقبلهم. ولذلك خف التحريض الميتاني للدويلات السورية في اواخر عهد تحوتمس، كما سارعوا إلى ارسال بعثة سلام إلى خليفته امنحوتب الثاني للتباحث بشأن اقامة نوع من التحالف والصداقة بين البلدين (١٩). وكان امنحوتب مستعداً لهذا التقارب لانه رأى ان يتولى الميتانيون مسؤولية التصدي للاطماع الحثية اضافة

---

(١٦) Breasted, J·H·, Op· Cit· Nos· 800f·

(١٧) لقد حدثت عدة مصادمات مسلحة بين الحثيين والميتانيين للسيطرة على بعض مناطق شمالي سوريا منذ اوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد (انظر : مورتكات ، ا ، تاريخ الشرق الادنى القديم . تعريب : توفيق سليمان وآخرون . (دمشق ١٩٦٧)ص ٢١٨– ٢١٩.

(١٨) Gurney, O·R·, Op· Cis· p· 27·

(١٩) :المصدر نفسه . ص ٢٧ .

إلى ان الدولة الميتانية كانت تحادد الاملاك المصرية الشامية مباشرة وان التحالف معها سيوقف بلاشك دعمها ومساندتها للثورات المحلية وسيؤدي حتماً إلى استقرار الوضع في المنطقة لصالح الطرفين دون ان تخسر مصر شيئاً كثيراً.

وهكذا بدأ عهد جديد من العلاقات الميتانية– المصرية غلب عليه السلام بدلاً من التوتر والنزاع وعقدت بين الجانبين مصاهرات سياسية لتقوية اواصر الصداقة وتعميقها. وتركت هذه السياسة طابعها بزواج «تحوتمس» الرابع (١٤٢٥ – ١٤١٧ق.م.) من ابنة« ارتاتاما » الاول (٢٠) و «أمنحوتب» الثالث (١٤١٧ – ١٣٧٩ق.م.) من ابنة «شوترنا» الثاني (٢١) ، وهكذا حلت «مواكب الزواج» محل الحملات العسكرية، وساد الهدوء والسلام في المنطقة ولاسيما في عهد امنحوتب الثالث الذي كان في سياسته الخارجية أميل إلى السلم منه إلى الحرب. ففي الوقت الذي حافظ فيه على مستوى علاقاته الجيدة مع الميتانيين (بمصاهرته السياسية) نجده يبعث برسالة إلى الملك الكشي يطلب فيها يد أبنته(٢٢) . ولاشك ان الكشيين كان يسعدهم تلبية رغبة الفرعون لان ذلك سيهيئ لهم حتماً مركزاً جيداً في المنطقة بمصاهرة ملك احدى أقوى دولها، ونظراً للمنافع المتوقعة من هذه المصاهرة وخاصة الحصول على الذهب المصري. ولم يكتف امنحوتب بتوطيد علاقاته مع الدولتين الميتانية والكشية (بالمصاهرة) بل أراد ان يقيم علاقات ودية حتى مع بلاد اشور حيث ارسل كمية من الذهب هدية إلى ملكها« اشورنادن أخي» الثاني (٢٣).

وبعد وفاة الملك الميتاني شوترنا الثاني حدثت بعض المشاكل الداخلية بسبب النزاع على العرش، وساد هذه الفترة برود او انقطاع في العلاقات الدبلوماسية مع مصر بانتظار النتيجة.

---

(٢٠)،(٢١) Gelb, J.I., Hurrians and subarians· (Chicago 1944) p· 77·

ومن الجدير بالذكر هنا ان شوترنا الثاني بعث بتمثال الالهة عشتار من مدينة نينوى إلى امنحوتب الثالث رجاء ان تشفيه من مرض الم به، مما يشير إلى العلاقات الوثيقة بيهم الجانبين وهو دليل على خضوع بلاد آشور في هذه الفترة لسيطرة الدولة الميتانية .

(٢٢) Bezold, Ch., Oriental Diplomacy (London 1893) pp· 1ff·

(٢٣) Knudtzon,A·J·,Die el-Amarna Taflen.Vol.I (Leipzig 1964) p·128:19-21·

الا أن «توشرتا» تمكن اخيراً (حوالي عام ١٣٨٥ق.م.) من اعتلاء العرش الميتاني وحرص في اولى رسائله إلى امنحوتب الثالث إلى اعادة العلاقات مع مصر إلى سابق عهدها مذكراً بما كان بين البلدين من اواصر الصداقة (٢٤) ، وكان امنحوتب من ناحيته مستعداً لذلك تمشياً مع سياسته السابقة تجاه الدولة الميتانية ،ولذلك نراه يتزوج من ابنة توشرتا (٢٥) بعد ان سبق وان تزوج من اخته.

(٣)

وفي عهد توشرتا حدثت تطورات جديدة في الوضع السياسي للشرق الادنى . فقد برز الحثيون ثانية إلى المسرح السياسي في عهد «شبيلوليوما» (١٣٨٠ — ١٣٤٠ ق.م.) الذي تمكن من أستعادة قوة الدولة الحثية ومكانتها في التأثير على الاحداث السياسية ، تلك المكانة التي فقدتها منذ اغتيال مورشيليش الاول (اوائل القرن السادس عشر ق.م.) . لقد احدث مجيء شبيلوليوما إلى العرش الحثي اختلال في موازين القوى السياسيه للمنطقة وقلب الوضع رأساً على عقب لصالح الحثيين. فبعد أن امضى شبيلوليوما سنواته الاولى في تقوية مركزه داخلياً بدأ بتنفيذ هدفه الستراتيجي المتمثل بمحاولة السيطرة على شمالي سوريا ، ومع انه فشل في تحقيق هذا الهدف في اولى محاولاته (٢٦) لكنه تمكن فيما بعد حتى من مهاجمة عاصمة الدولة الميتانية «وشكني» ذاتها (٢٧)، وشذب إلى حد بعيد ممتلكات هذه الدولة بالسيطرة المباشرة على الكثير من مناطق نفوذها ، وجعل مناطق اخرى تسير في فلك الدولة الحثية حيث سارع العديد من الامراء السوريين إلى تقديم هدايا الخضوع والاعتراف بالسلطة الجديدة (٢٨). وقد حرص شبيلوليوما

---

(٢٤) CAH· 3rd,ed·Vol· 11· pt· 1 (1973) p· 487·

(٢٥) Bezold,Ch·, Op·Cit· pp· 11f·

(٢٦) Gurney, O·R·, Op· Cit· pp· 27f·

(٢٧) Giiterbock, H·G·, "The Deeds of Suppiluliuma"· JCS· Vol· x, No· 4· pp·111-114·

(٢٨) Gurney, O·R·, Op· Cit· p· 329·

على عدم اثارة مصر وربما اكتفى بجعل العاصي حدوداً لحملته هذه التي سيطر نتيجتها على حلب والالاخ (تل العطشانه حالياً) الا أنه لم يتمكن من السيطرة على كركميش التي ظلت موالية للميتانيين (٢٩).

ان الانتصارات التي حققها شبيلوليوما في شمالي سوريا على حساب الدولتين الميتانية والمصرية كان لها اسباب عديدة . فرغم انها ترجع الى حد بعيد إلى مقدرة الملك الحثي واستعداده العسكري والتخطيط الجيد للحملة ، الا أنه هناك اسباب اخرى سهلت الانتصار ومهدت له قبل ذلك، من ذلك ان توشرتا لم يكن في وضع يؤهله للوقوف بوجه الحثيين والحد من توسعهم العسكري لاسيما وان أحد الطامعين في العرش الميتاني « ارتاتاما » الثاني استقل في بعض الاراضي الميتانية جنوب بحيرة «وان » وحالف شبيلوليوما ضد توشرتا (٣٠) . اما الجهة الاخرى المعنية بشأن سوريا أي مصر فان فرعونها « امنحوتب » الرابع / اختاتون (١٣٧٩ — ١٣٦٢ق .م.) كان منشغلاً باصلاحاته الدينية كلياً عن شؤون السياسة الخارجية . والحقيقة ان قبضة مصر على بلاد الشام تراخت منذ اواخر عهد سلف اخناتون ، امنحوتب الثالث، الذي لم يوجه طيلة حكمه سوى حملة واحدة إلى مدينة صيدا كانت الغاية منها الصيد والنزهة (٣١) اكثر مما كانت تهدف إلى تحقيق اغراض سياسية معينة . وينسجم هذا الامر كلياً مع الطبيعة السلمية التي اصطبغت بها سياسة امنحوتب الثالث عموماً وعدم التركيز على حماية ممتلكاته بالقوة بل اراد تحقيق ذلك من خلال مصاهراته السياسية وعلاقاته الودية حتى مع الدويلات الصغيرة كما رأينا .

وفي فترة التوسع الحثي في شمالي سوريا تظهر الى المسرح السياسي العديد من الدويلات المحلية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المنطقة ، والتي توزع موقفها من الاحداث المستجدة بين فريقين : الفريق الاول أعتمد النفاق السياسي في علاقاته مع الحثيين والمصريين تحسباً للطواريء في المستقبل والاستفادة من

---

(٢٩) : المصدر نفسه . ص ٢٩ ومابعدها .

(٣٠) Saggs, H·W·F·, The Greatness that was Babylon· (London 1962) p·81·

(٣١) : نجيب ميخائيل ابراهيم ، المصدر السابق . ص ١٣٩ .

الفرصة لتوسيع نفوذه والتخلص من الالتزامات المالية تجاه الفرعون ولو جزئياً ، والفريق الثاني بقي موالياً لمصر في محاولة لابقاء الاوضاع على حالها والحفاظ على نوع من التوازن في المنطقة . ولا شك ان هذا الفريق كان لايزال يحتفظ في ذهنه بقوة الفراعنة السابقين ، ولعله كان يرى في الوضع الجديد الناشيء عن النشاط العسكري الحثي وضعاً طارئاً لابد ان يتغير في الوقت المناسب . والحقيقة ان الفريق الاول ذاته لم يجروء على نقض تبعيته لمصر علانية ، فان «عبد عشرتا» ، حاكم دويلة «امرّو» في منطقة العاصي ، والذي يعتبر أبرز ممثلي هذا الفريق استمر في ارسال رسائل الولاء والخضوع الى امنحوتب الثالث (٣٢) ، وكذلك فعل ابنه « عزيرو» من بعده في نفس الوقت الذي كانا فيه يوسعان نفوذهما في المناطق المجاورة على حساب مصر نفسها (٣٣) . اما الفريق الثاني من الدويلات السورية فيمثله بشكل جيد حاكم مدينة « جبيل » المدعو « رب عدي » الذي كان دائم الشكوى لامنحوتب الثالث ومن بعده اخناتون من خيانة عبدعشرتا وابنه عزيرو دون ان تلقى شكاواه واستنجاداته أية اذن صاغية (٣٤) . ويبدو ان امنحوتب لم يعد قادراً في اواخر ايامه في ارسال اية نجدة ذات اهمية لاتباعه اضافة الى طبيعته السلمية ، بينما انشغل

---

(٣٢) : ان الاسلوب الذي كتبت به رسائل عبد عشرتا الى امنحوتب الثالث لا تدع مجالا للشك ، ظاهرياً ، في اخلاص صاحبها وولائه : «إلى الملك الشمس سيدي ، هكذا يقول عبد عشرتا عبدك وغبار قدميك ، عند قدمي الملك سيدي سبع مرات وسبع مرات اخرى اجثو . انظر انني خادم الملك سيدي وكلب بيته وجميع « امرو» (سوريا) احرسها للملك سيدي » (فيليب حتي ، المصدر السابق . ص ٧٦) .

(٣٣) : فيليب حتي ، المصدر السابق ، ص ٧٦ — ٧٧ .

(٣٤) : Bezold, Ch., Op. Cit. pp. 15-20 وانظر ايضا ص ٣٧ — ٣٨ عن موقف حاكم «قطنا» الموالي لمصر .

خليفته اخناتون باصلاحاته الدينية داخل مصر مهملا الشؤون الاسيوية كلياً(٣٥) .

ان الوضع الجديد الذي اوجدته انتصارات شبيلوليوما واثر بشكل مباشر على العلاقات الدولية في الشرق الادنى ، رافقه ظهور قوى سياسية اخرى على المسرح لم يكن لها فيما سبق شأن يذكر في المنطقة . وبدأت هذه القوى الجديدة تنافس القوى القديمة التقليدية وتنازعها السيطرة والنفوذ . فقد ظهرت بلاد آشور في عهد « آشور او بالط » الاول (١٣٦٥ – ١٣٣٠ ق.م.) الذي استفاد الى حد بعيد من الظروف الدولية لتثبيت مركزه في الداخل بعيداً عن الضغوط الميتانية ليظهر فيما بعد كواحد من زعماء الدول العظمى في المنطقة (٣٦) . ويظهر آشور اوبالط على المسرح الدولي عندما بعث برسالة الى اخناتون : « الى نفخوريا (Naphhuriya اخناتون) الملك العظيم ، ملك مصر اخي (٣٧) ، قل هكذا (يقول) آشوراوبالط ملك بلاد آشور ، الملك العظيم ، أخوك » ثم يستمر في استعراض علاقات الصداقة بين البلدين منذ عهد سلفه آشورنادن أخي الثاني (٣٨) . والمهم في الرسالة ان آشور

---

(٣٥) من الجدير بالذكر هنا ان المراسلات الدبلوماسية بين مصر واتباعها السوريين في هذه الفترة وبينها وبين دول المنطقة الاخرى قد كتبت باللغة الاكدية والخط المسماري العراقي ، وهو دليل على مدى الانتشار الواسع للحضارة العراقية القديمة وإلى ان الاكدية اصبحت لغة دولية في المراسلات الدبلوماسية بين مختلف دول المنطقة . وتعرف هذه الرسائل باسم « رسائل العمارنة» نسبة إلى الاسم الحديث لموقع عاصمة اخناتون ، «أخيت أتن » حيث اكتشفت عام ١٨٨٧م.(عن هذه الرسائل انظر : Knudtzon,J.A.,Op.Cit, BenzoldCh, Op. Cit.

(٣٦) : خضعت بلاد آشور لسيطرة الدولة الميتانية بعد بداية القرن الخامس عشر ق. م. بفترة قصيرة ثم استقلت عنها بعد أقل من قرن من الزمن (لمزيد من التفاصيل انظر : ولسيد محمد صالح فرحان ، المصدر السابق ص ٤٣ – ٤٥) .

(٣٧) : تشير كلمة «أخي» في المراسلات الدبلوماسية إلى العلاقة بين حاكمين من منزلة ومرتبة واحدة (CAH.3rd.ed.Vol.II.pt.1(1973)p.483) بينما لم يكن في استطاعة الحاكم التابع مراسلة سيده باستعمال هذا المصطلح الدبلوماسي بل يستعمل بدلها عبارات الخضوع والولاء نحو : «عبدك»، «خادمك» (راجع الهامش ٣٢) .

(٣٨) : راجع نص الرسالة في : Knudtzon, J.A., Op. Cit·. PP. 126 – 131, No. 16.

اوبالط اعتبر نفسه « أخ » الفرعون اي انه مساوٍ له في المنزلة السياسية باعتبار دولته من الدول العظمى المتكافئة المركز مع مصر ومع غيرها من الدول التي يتراسل حكامها على اساس « الاخوة » .

ويبدو انه كان لرسالة آشورأوبالط الى أخناتون وقع سيء عند الملك الكشي « بورنابورياش » الثاني (١٣٧٥ – ١٣٤٧ ق.م.) الذي عبر عن استيائه من التقارب الآشوري – المصري في رسالة بعثها الى أخناتون ، استعرض في بدايتها علاقات الصداقة والتعاون بين بلاده ومصر ، ثم عاتب فيها اخناتون : « الان انا لم ارسل الاشوريين اتباعي إليك ؛ انهم يعملون حسب رأيهم الخاص . لماذا دخلوا الى بلادك ... » (٣٩) . وتشير هذه الرسالة الى محاولة الكشيين عزل بلاد آشور عن الدول العظمى وضمان مصر الى جانبهم فقط . كما تشير من ناحية ثانية الى ان مسألة تبعية الاشوريين لهم (للكشيين) كانت مجرد ادعاء وان بورنابورياش لم يكن قادراً على وضع حد لظهور آشور على المسرح بالطرق العسكرية بل حاول ذلك بالطرق الدبلوماسية . (٤٠)

(٤)

وفي حدود ١٣٥٠ ق. م. حدثت تطورات جديدة اخرى على مسرح الاحداث في الشرق الادنى ، فقد اغتيل الملك الميتاني توشرتا وهرب وريثه وابنه «متي‌وازا» إلى شبيلوليوما، وبذلك اصبح الملك الحثي السيد الاعلى على الوريث الشرعي للعرش الميتاني وعلى المطالب به ، ارتاتاما الثاني ،على حد سواء (٤١) . وادت الاحـــــداث السريعـة المتلاحقـــــة في الدولـة الميتانيـة إلى تأثيرات بالغة على مجمل العلاقات الدولية والوضع السياسي والقوى المسيطرة في المنطقة . فمن ناحية استفاد اشورأوبالط من هذه الاحداث ليس فقط في تثبيت ودعم

(٣٩) Oppenheim, A·L., Letters from Mesopotamia. (Chicago 1967) 115f. pp. No·59. :

(٤٠) : لقد تمكن اشور اوبالط فيما بعد حتى من السيطرة الاسمية على بلاد بابل .

(٤١) Saggs, H.W·F., Op. Cit. p. 81

مركز بلاده بل والحصول على اعتراف ميتاني بهذا المركز من قبل ارتاتاما وخليفته « شوترنا» الثالث (٤٢) اللذين سيطرا مؤقتاً على الدولة الميتانية بكاملها . اما متي وازا فقد استعاد عرشه بمساعدة حثية بعد أن تزوج ابنة شبيلوليوما واصبحت دولته منذ الان بمثابة دولة حاجزة بين الاملاك الحثية في اسية الصغرى وسوريا من جهة وبلاد اشور المتنامية القوة من جهة ثانية . وهكذا فقدت الدولة الميتانية مكانتها السابقة كدولة عظمى مؤثرة في المنطقة وتوزع مركزها بين الدولتين الحثية والاشورية .اما مصر فانها فقدت في هذه الفترة كل ماتبقى لها من نفوذ فعلي في سوريا واصبحت معظم الدويلات المحلية السورية تسير في فلك السياسة الحثية ، في حين ان بابل الكشية لم يكن لها شأن يذكر في العلاقات الدولية بسبب خضوعها الاسمي لبلاد آشور (٤٣) .

ان غياب الدولة الميتانية عن المسرح السياسي وخضوعها للسيطرة الحثية من خلال حاكمها الاسمي «متي وازا» سهل على شبيلوليوما اخضاع شمالي سوريا في اواخر عهده حيث جعل المنطقة من الفرات إلى ساحل المتوسط ولاية حثية ووطد حدود ممتلكاته عند لبنان أمام مصر الضعيفة، بواسطة العديد من الدويلات المحلية التابعة (٤٤). وحدثت عندما كان شبيلوليوما يكمل فتحه لشمالي سوريا حادثة لها مدلولها السياسي. اذ تلقى رسالة من ارملة «توت عنخ امون» (١٣٦١ – ١٣٥٢ق.م). تعرض فيها الزواج من احد ابنائه: « توفي زوجي وليس لي ابن. ويقول الناس ان لك ابناء كثيرين. اذا ارسلت لي احد ابنائك(فانه) سيصبح زوجي. اني اكره ان اختار احد الخدم واجعل منه زوجاً لي» (٤٥) . وهكذا اصبح لشبيلوليوما سمعة دولية عالية في

Saggs, H. W. F, OP. cit. P, 81.

Gadd, C.J., "Assyria and Babylon, C. 1370-1300 B.C." Revised edition from CAH. Vols .1and11. 1965. p.8

وسبق ان ذكرنا ان ارتاتاما استقل ببعض الاراضي الميتانية جنوب بحيرة وان وانه حالف شبيلوليوما ضد توشرتا .

(٤٣) :راجع الهامش (٤٠) .

(٤٤) Gurney, O.R., Op. Cit. p. 30.

(٤٥) Pritchard, J.B. (ed.), Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament. 3rd. ed. (Princton 1969) p.319.

المنطقة حتى ان المملكة المصرية ارادت مصاهرته، ولعلها كانت تواجه صعوبات داخليه فارادت بهذه المصاهرة ان تجد سنداً قوياً في الخارج . ولم يكن شبيلوليوما بالذي يفوت هذه الفرصة، اذ انه بعث احد ابنائه إلى مصر غير ان هذا الامير قتل قبل وصوله اليها ولهذا السبب ارسل جيش حثي إلى فلسطين (٤٦) واستمرت المناوشات بين الطرفين في الفترات التالية كما سيمر ذكره. وهكذا اصبحت الدولة الحثيه سيدة الموقف في بلاد الشام لاينازعها في ذلك او يقلقها سوى القوة المتنامية لبلاد اشور، التي كانت الدولة العظمى الثانية في الشرق الادنى بعد غياب مصر والدولة الميتانية من على المسرح .

اعقب شبيلوليوما في الحكم ابنه« أرنونداش» الثالث ثم اعقبه بعد حوالي سنة اخوه مورشيليش الثاني الذي تمكن من استعادة معظم امبراطورية والده بعد ان فقدت اجزاء واسعة منها في عهد اخيه وسلفه (٤٧). وساد الشرق الادنى في هذه الفترة عهد من الهدوء النسبي، فمصر كانت منكمشة في حدودها الخاصة، وبلاد أشور كانت منشغلة بمشاكلها الحدوديه مع بلاد بابل ولم يكن خليفتا اشورأوبالط من القوة بحيث يتمكنا من اظهار أي نشاط على المسرح الخارجي ، اما الدولة الميتانية فقد سبق لها ان فقدت مكانتها السياسية كدولة مؤثرة في المنطقة .

(٥)

ان الهدوء الذي سيطر على منطقة الشرق الادنى بين حوالي عام ١٣٤٠ — ١٣٠٠ق .م. كان أشبه بالسكون الذي يسبق العاصفة ، أذ أعقب ذلك فترة تقدر بحوالي القرن من الزمن تجدد فيها النزاع بين القوى السياسية ذات المصالح المتضاربة في بلاد الشام ولاسيما في شماليها . فمصر بدأت في عهد سلالتها التاسعة عشر بتجديد محاولتها لاعادة الامبراطورية الاسيوية حيث عاد النزاع القديم في المنطقة إلى سابق عهده وحدثت عدة مصادمات مسلحة بين «ستي» الاول(١٣٢٠ — ١٣٠٤ق .م.) والملك الحثي «مُواتَليش» في منطقة العاصي(٤٨)

(٤٦) Gurney, O·R., Op. Cit·

(٤٧) Ibid. pp. 32ff.

(٤٨) :نجيب ميخائيل ابراهيم ، المصدر السابق . ص ٢٦٣ .

حيث الحدود الجنوبية للمتلكات الحثية ، ولم يتابع ستي تقدمه إلى المناطق الشمالية الأبعد خوفاً من مجابهة حثية شاملة لقواته ، بل أنه اقتنع ، فيما يبدو ، باستعادة فلسطين ولبنان . ولاشك ان هذه الاجزاء كانت كافية في هذه المرحلة وتمثل جزءاً هاماً من الامبراطورية المصرية السابقة، كما أستعاد ستي في حملته هذه قدراً كبيراً من سمعة مصر وأعاد اليها مجدداً فاعليتها وتأثيرها في مجرى الاحداث الدولية للمنطقة . وهناك اضافة إلى مصر والحثيين بلاد آشور التي دخلت في القرن الثالث عشر ق. م. عهداً من التوسع السريع واصبحت واحدة من أقوى دول المنطقة ومنافساً قوياً للحثيين فيها .

وقد تجدد النزاع المصري – الحثي في منطقة العاصي بعد مجيء «رعمسيس» الثاني (١٣٠٤ – ١٢٣٨ق. م.) إلى الحكم بشكل لم يحسم الموقف بين الطرفين وان كانت الكفة فيه راجحة لصالح الحثيين (٤٩) . لكن النزاع بين الجانبين لم يستمر لفترة طويلة اذ عقدت بينهما معاهدة سلام لتسوية النزاع القديم المتجدد في العالم الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني (حوالي ١٢٨٤ق .م.) ومعاصره الحثي « خاتوشيليش» الثالث. وقد تعهد كل من الطرفين بعدم مهاجمة الطرف الاخر بل والدفاع عنه في حالة تعرضه لهجوم من جانب ثالث : « أذا زحف عدو آخر ضد بلاد رعمسيس، حاكم مصر العظيم وارسل إلى أمير خاتي (الحثيين) العظيم قائلا: «تعال معي كمساعد ضده » واذا لم يذهب خاتوشيليش شخصياً (فانه) يتوجب عليه عندئذ ان يرسل مشاته وعرباته ... »

ويلي ذلك فقرة مشابهة لصالح الحثيين كما التزم الطرفان بتسليم الهاربين إلى الطرف الاخر أياً كانت صفتهم ومرتبتهم الاجتماعية شريطة عدم التنكيل بهم او التعرض لاولادهم وأزواجهم ، بنفس الاسلوب المتبع حالياً عند تسليم الهاربين بين الدول المتحالفة (٥٠) .

ان المعاهدة الحثية – المصريه تعتبر إلى الوقت الحاضر اكمل معاهدة سلمية

---

(٤٩) Gurney, O·R., Op. Cit. p·35.

(٥٠) :راجع نص المعاهدة في :

Pritcherd, J·B·(ed·), Op· Cit· pp· 199ff.

قديمه عقدت بين دولتين متساويتين في المركز السياسي وان لم تكن اقدمها(٥١). وقد انهت المعاهدة هـــذه النزاع المصري الحثي في بـــلاد الشام ، وساد السلام في المنطقة، وانعكس ذلك على علاقات الدولة الحثية بالقوى الدولية الاخرى ولاسيما علاقتها مع بلاد اشور.

كان للمعاهدة الحثية المصرية بدون شك اسباب عديدة وظروف ممهده . فأن الصعوبات الداخلية والخارجية التي واجهت احد الطرفين او كليهما لعبت دوراً هاماً في محاولتهما تصفية نزاعهما بالطرق السلمية . فقد اعتلى خاتوشيليش الثالث العرش الحثي بعد نزاع مع ابن اخيه« أرخي — تيشوب » الخليفة الشرعي، الذي حاول الحصول على دعم مصري في نزاعه مع عمه، ولعله حصل على وعد من رعمسيس بذلك (٥٢).

ورغم ان خاتوشيليش تغلب على خصمه لكنه بقي حذراً من مصر التي قد تتخذ ملجأ لخصومه السياسيين مستقبلاً، كما ان الدولة الحثية باتت في عهده مهددة بالاخطار الخارجية على حدودها الغربية والجنوبية على حد سواء بسبب تدفق هجرات« شعوب البحر» (٥٣) إلى اسية الصغرى وشواطيء البحر المتوسط الشرقية، ثم هناك الخطر الاعظم على حدودها الجنوبية ومبعثه تزايد قوة الدولة الاشورية. وكانت مصر هي الاخرى تواجه خطر تحرك القبائل الليبية على حدودها الغربية، اضافة إلى عدم ارتياحها من النمو المتزايد للقوة الاشورية خشية ان يؤدي ذلك إلى اختلال توازن القوى في المنطقة . وهكذا وجدت مصلحة مشتركة بين خاتوشيليش ورعمسيس لانهاء خلافاتهما سلمياً طالما فشلت الحرب في تسوية النزاع بشكل حاسم لصالح أي من الطرفين .

(٥١) : فقد سبقتها معاهدات حثية — مصرية لا نعرف عنها سوى أشارات بسيطة في النصوص المتاخرة ، وهناك أيضاً اشارات عديدة عن المعاهدات الحدودية بين الاشوريين والكشيين في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق. م. اما اقدم معاهدة حدودية معروفة إلى الان فهي التي عقدت بين دويلتي « لحش» و«أما» في جنوبي العراق حوالي منتصف القرن الخامس والعشرين ق . م .

(٥٢) : عبدالعزيز صالح ، المصدر السابق . ص ٢٣٣ .

(٥٣) : اقوام هاجرت من منطقة بحر ايجة إلى اسية الصغرى وسواحل البحر المتوسط ، واسهموا في انهاء حياة الحثيين السياسية في اواخر القرن الثالث عشر ق. م.

ان ظهور الاشوريين على المسرح السياسي كقوة فاعلة في سير احداث المنطقة ، كان من بين اهم الاسباب المؤثرة على طبيعة العلاقات الثنائية بين القوى الدولية وبالذات التقارب الحثي ـ المصري وعقد معاهدة السلام بينهما . لقد سبق ان بدأت بوادر القوة الاشورية تلوح في الافق منذ عهد آشور اوبالط الاول ، (١٣٦٥ ـ ١٣٣٠ ق.م.) ، ولذا رأينا شبيلوليوما يحاول جعل الدولة الميتانية بمثابة حاجز لحماية دولته ضد القوة الآشورية المتصاعدة ، وحرص خلفاؤه كذلك على ابقاء الوضع الجديد للدولة الميتانية . وبعد مجيء خاتوشيليش الثالث الى الحكم حاول أيجاد نوع من العلاقات الودية مع الدولة الآشورية في عهد أددنراري الاول (١٣٠٧ ـ ١٢٧٥ ق.م.) (٥٤) لانه (اي خاتوشيليش) كان حذراً من فتح جبهة النزاع مع الدولة الاشورية وهو لم يحسم الموقف بعد مع مصر في النزاع على شمالي سوريا ، ولأن العلاقات الودية تلك ستضمن له حياد الآشوريين ، على الاقل ، في حالة نشوب الصدام مع رعمسيس ، ولهذا السبب ايضاً نجـده (خاتوشيليش) يدخل في حلف دفاعي مع الملك الكشي « كادشمان ـ تركـو » (١٢٩٧ ـ ١٢٨٠ ق.م.) الذي وعد بتقديم المساعدة الحربية اذا ماقامت الحرب ضد مصر : « منذ ان ثبتُ ووالدك علاقات دبلوماسية (بيننا) واصبحنا مثل الاخوة اتفقنا على مايلي : اننا اخوة ، ويعني ذلك اننا نعادي اعداء أي منّا ونصادق صديق اي منّا ، عندما غضبت انا وملك مصر أحدنا على الآخر ، أخبرت والدك ، كادشمان‌تُركـو ، قائلاً : « لقد اصبـح ملك مصر عدوي » وأجاب والدك كما يلي : « أذا زحف أخي ضد مصر ، سأزحف معك

(٥٤) : لايعرف شي كثير عن تفاصيل هذه العلاقات سوى اشارات بسيطة في رسالة بعثها خاتوشيليش الى اددنراري (للمزيد من التفاصيل انظر :

Rowton, M.B·, "The Background of Treaty between Ramsses II and Hattusilis III." JCS. Vol.X111,No.1 (1959) pp. 2-6; Munn-Rankin, J·M., "Assyrian Military Power 1300-1200 B·C." Revised ed. from CAH·Vols. /Iand II (1967) pp· 5f.

بالفعل شخصياً مع مشاتي وعرباتي ، بقدر ماموجود منها ... » (٥٥) .

ان النمو المتزايد للقوة الاشورية في عهد أددنرارى الاول كان من بين اهم الاسباب التي أدت إلى التقارب الحثي – المصرى ، كما اشير إلى ذلك قبل قليل . فقد تمكن أدنرارى من مد نفوذه إلى منطقة مابين النهرين بل وتمكن حتى من السيطرة الاسمية على الدولة الميتانية نفسها في عهد ملكها «شتوآرا» وذلك قبل مجيء خاتوشيليش إلى الحكم بفترة قصيرة(٥٦) وكان ذلك بمثابة فشل ذريع للستراتيجية الحثية الرامية إلى ابقاء الدولة الميتانية كحاجز ضد الآشوريين ، ولهذا السبب حاول خاتوشيليش ان يقيم علاقات ودية مع أددنرارى (٥٧) ليضمن تحييد الدولة الاشورية ، في نزاعه مع مصر ولكي لايصطدم معها في مواجهة مباشرة في ظروف حرجة ليست في صالحه كما ذكرنا . لكن الوضع تطور فيما بعد بشكل هدد الحثيين الى حد كبير فقد ثارت الدولة الميتانية في عهد « وسشتا» ضد السلطة الاشورية ، الا ان الثوره فشلت في تحقيق هدفها وكانت النتيجة ان الحقت معظم المنطقة الميتانية إلى بلاد آشور (٥٨) وهكذا أصبح الاشوريون على احتكاك مباشر مع الحثيين الامر الذى دفع الاخيرين إلى التفكير باعادة التوازن الدولي إلى المنطقة اما : بمهادنة الدولة الاشورية والاعتراف لها بما حصلت عليه في منطقة مابين النهرين والاعتراف بالتالي بالوضع الجديد ، او التوصل إلى حل سلمي للنزاع مع مصر . وقد فضل الحثيون الخيار الثاني لان السلام مع رمسيس ليس فيه الكثير من الخسارة المادية او المعنوية بسبب ماضي مصر المعروف في المنطقة ولانهم (الحثيون) كانوا يشكون كثيرا في نوايا الاشوريين ومطامحم

---

(٥٥) : اشير إلى هذا التحالف في رسالة من خاتوشيليش إلى «كادشمان أنليل» ابن كادشمان تركو. وعن نص الرسالة راجع

Oppenheim, A·L·, Op· Cit· pp· 139-46· No· 84

Munn-Rankin, J·M·, Op· Cit· pp· 5f

(٥٧) : انظر الهامش (٥٤) .

(٥٨) : Munn-Rankir, J·M·, Op· Cit· pp· 6f·

في المنطقة تلك المخاوف والشكوك التي تاكدت في رسالة تلقاها خاتوشيليش من أددنراری (٥٩) عرض فيها عليه « الاخوة» والرغبة في زيارة جبل (الامانوس) . ان المركز الجديد الذى احرزه الاشوريون بعد سيطرتهم على الدولة الميتانية جعل اددنراری يفكر في الحصول على اعتراف دولي بمكانته كواحد من حكام الدول العظمى في المنطقة . ويبدو ان خاتوشيليش ادرك ذلك ولذا كان رده على طلب « الاخوة» عنيفاً: « ماهذا الكلام عن الاخوة وزيارة جبل أمانوس ؟ لماذا اكتب اليك فيما يتعلق بالاخوة ؟ هل ولدنا أنا وأنت من أم واحدة ؟»(٦٠) من ناحية اخرى فسر خاتوشيليش عرض اددنراری بزيارة الامانوس على انه تهديد خفي للسيطرة على المنطقة (٦١).

ان رد فعل خاتوشيليش على التطورات الجديدة المتمثلة خاصة بامتداد النفوذ الاشوري إلى منطقة مابين النهرين ، لم يكن المواجهة العلنية لهذا التوسع والاصطدام المباشر مع الاشوريين ، كما قد يظن . وانما كان بالتوصل إلى حل سلمي للنزاع القديم مع مصر وعقد المعاهدة مع رعمسيس ، ثم اللجوء فيما بعد إلى تحريض الميتانيين ودعمهم مادياً وعسكرياً للثورة على السيطرة الاشورية ، وربما تمكنت ميتاني ، نتيجة هذا الدعم ، من الاستقلال عن الآشوريين في اواخر عهد اددنراری او في بداية عهد خليفته «شلمنصر» الاول (١٢٧٤ — ١٢٤٥م) (٦٢) الذى تمكن من اعادة اخضاع المنطقة لنفوذه المباشر والقضاء نهائياً على الدولة الميتانية (٦٣) وأخذ دورها في المسرح السياسي للمنطقة اذ لم تقم

(٥٩) : حول هذه الرسالة والتفاصيل المتعلقة بها انظر

Rowton, M·B·, Op· Cit· Cit· pp· 10f

Munn-Rankin, J·M·, Op· Cit· p·7

(٦٠) : ولاشك ان خاتوشيليش كان يستهزيء بالملك الاشوري في سؤاله : « هل ولدنا أنا وانت من ام واحدة ؟ » فهو يعلم جيدا ان «الاخوة» لاتعني في المراسلات الدبلوماسية علاقات قربى وانما لها مضامين سياسية .

(٦١) : Rowton, M·B·, Op· Cit· p· 10,n·46·

(٦٢) : Munn-Rankin, J·M·, Op· Cit· p·7

(٦٣) : Luckenbill, D·D·, Ancient Records of Assyria and Bebylonia· Vol· I (Chicago 1926) pp· 39f· No·116·

لتلك الدولة قائمة بعد ذلك . وهكذا حسم النزاع الحثي ـ الاشوري الغير المباشر لصالح الاخيرين وتحاددت ممتلكات الطرفين في شمالي سوريا وما بين النهرين بشكل مباشر .

وبسبب هذه التطورات السياسية حاول خاتوشيليش أثارة المشاكل على الحدود الجنوبية للدولة الاشورية لتخفيف سيطرتها واضعافها على منطقة ما بين النهرين . ويمكن تبين هذا الاتجاه الجديد في السياسة الحثية تجاه أشور من الرسالة التي إرسلها خاتوشيليش إلى معاصره الملك الكشي « كادشمان ـ انليل» (١٢٧٩ ـ ١٢٦٥ق.)م والتي حاول فيها اتخاذ الكشيين « رأس حربة» ضد الاشوريين « الضعفاء ! »:«ان ملك بلاد اشور بكل مشاته وسلاح عرباته لايوازى مشاة بلادك ... تقدم الان وقم بغزوة في بلاد العدو (اى بـــــلاد اشور) واني متشوق لسماع كم سيذبح «أخي » من الاعداء » وبعد هذا التحريض السافر يثير خاتوشيليش في الملك الكشي نزعة الثأر :« لقد اعتادوا (اى الاشوريون) ان يدعو والدك « الملك الذى يستعد للحرب لكنه يمكث في وطنه بعد ذلك » ألم يقولوا ذلك عنه دائماً؟ أخي يجب ان لاتبق في الوطن، اذهب الى بلاد الاعداء وأدحر العدو...»(٦٤). ان خاتوشيليش ، كما يتضح من هذه الرسالة ، اضافة إلى التحريض على الاعتداء واستثارة الكشيين بكل الوسائل ، لم يتحرج من دعوة كادشمان أنليل« بأخي »وهو يعلم جيداً أنه (كاد شمان انليل» لايستحق ذلك لان مركزه السياسي ادني بكثير من مركز أددنرارى عندما رفض خاتوشيليش « أخوته» سابقاً . لكن خاتوشيليش كان يريد تحقيق هدفه في اثارة المشاكل الحدودية الاشورية الكشية باية وسيلة متاحة عملا فيما يبدو بالمثل « الغاية تبرر الواسطة » ولا يعرف ماذا كانت تحريضات خاتوشيليش ومجاملاته قد شجعت الملك الكشي على القيام بعمل عسكري على الحدود الجنوبية للدولة الاشورية .

---

(٦٤) : انظر نص الرسالة في :

Oppenhein, A.L., Op. Cit. pp.139-46.No.84.

ويبدو من سير الاحداث التالية في عهد « توكلتي ننورتا » الاول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ق. م) ومعاصره الحثي « تو د خالياش» الرابع ان الموقف السياسي والعسكري كان لصالح الاشوريين . فقد تلقى توكلتي ننورتا التهنئة بمناسبة توليه العرش من تودخالياش الذى وجه كذلك عدة رسائل إلى اثنين من كبار القادة الاشوريين يدعوهم فيها إلى حماية سيدهم ويؤكد لهم صداقته للملك الاشورى (٦٥). ويبدو ان تودخالياش اراد اقامة علاقات ودية مع الاشوريين بعد ان أثبتوا فعلا انهم « قوة عظمى » في المنطقة . الا ان العلاقات الحثية – الاشورية لم تتطور في اتجاه سلمي بل بالعكس فقد حدثت بين الجانبين بعد فترة قصيرة جداً من بداية عهد توكلتي ننورتا بعض المناوشات الحدودية في منطقة مابين النهرين (٦٦) وهنا لجأ تودخالياش إلى اسلوب الحرب الباردةفي نزاعه مع الاشوريين ، اذ الزم حاكم منطقة « أمرّو» السورية التابع له بوقف المتاجرة مع بلاد اشور كلياً ومنع مرور التجار الاشوريين في اراضيه (٦٧) محاولا من وراء ذلك فرض الحصار الاقتصادي على الدولة الاشورية وقطع الطرق التجارية بينها وبين البحر المتوسط ، وهو ما سيؤدي قطعاً إلى اثار سلبية على الاقتصاد الاشوري .

وفي اواخر عهد تودخالياش وفي عهود خلفائه تدهور الوضع السياسي في الدولة الحثية بسبب تفاقم خطر الشعوب البحرية ، حيث تمكن احد هؤلاء وهم « الفريجيون » في اواخر القرن الثالث عشر ق.م من القضاء نهائياً على الدولة الحثية واحتلوا مكانها في السيطرة على الاوضاع السياسية في آسية الصغرى.

---

(٦٥) Munn-Rankin, J.M·, Op. Cit. p·19.

(٦٦) Ibid. p. 20.

(٦٧) Koros'ec,V.,"The Warefare of the Hittites from the Legal Point of View". Iraq. Vol. xxv.pt·2 (1963) p·163.

اما بلاد اشور فقد حلت فيها فترة من الضعف السياسي اثر اغتيال توكلتي ننورتا في عام ١٢٠٨ ق.م وتقلص نفوذها الخارجي إلى حد بعيد وحتى مجيء « تجلا ثبليزر» الاول للحكم عام ١١١٥ق.م .

وهكذا انتهى الصراع بين الدول القوية المتنافسة في الشرق الادنى ، ولم تشهد المنطقة فيما بعد مثل تلك العلاقات المتشابكة بالشكل الذى رأينا .